

كتاب الشباب

سارق السيارة



أحمد عبدالسلام البقالي

تصميم

مكتبة العبيكان



سَارِقُ السَّيَّارَةِ

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية
مكتبة العبيكان

③ مكتبة العبيكان، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البحالي، أحمد عبدالسلام

سارق السيارة. - الرياض.

— ص، ١٤ X ٢١ سم (سلسلة كتاب الشباب)

ردمك: ٢٣٥-٦-٢٠-٩٩٦٠

١- القصص البوليسية العربية أ- العنوان ب- السلسلة

١٧/٠١٤١

ديوي ٨٧٢.٠٨٣٣

رقم الإيداع: ١٧/٠١٤١

ردمك: ٢٣٥-٦-٢٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى ١٩٩٦م

الطبعة الثانية

١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

حقوق الطبع محفوظة للناسر

الناسر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

لم يكنُ عدنانُ العروسيُّ يعرفُ أنَّه مقبلٌ على مغامرةٍ مخيفةٍ
ستكونُ نقطةَ تحوُّلٍ في حياته . . .

قالَ لأفرادِ عصابتهِ الخمسةِ ، وعيناهُ تلمعانِ :

- الليلةَ سنقومُ بمغامرةٍ لم نقمُ بها من قبلُ ! سنأخذُ سيارةَ
الوالدِ الشيفروليه الجديدةَ ، ونذهبُ بها في فسحةٍ إلى جميعِ معالمِ
طنجةِ السياحيةِ ، ابتداءً من «الشَّرفِ» ومغاورِ هرقلِ ورأسِ
سبارتيل . . . ما رأيكم ؟

فصاحَ الجميعُ فرحينَ متحمسينَ للفكرةِ . واعترضَ فريدٌ
قائلاً :

- ولكنَّكَ لم تحصلِ على رخصةِ السياقةِ بعدُ !

- نحنُ سنخرجُ بعدَ العشاءِ ، بعدَ أن ينامَ الوالدُ . ولا أحدُ
يسألُ عن رخصةِ السياقةِ في تلكَ الساعةِ . حتَّى الشرطةُ تقفلُ
أقسامها في السادسةِ ، وتذهبُ للنومِ ، كبقيةِ الموظفين !

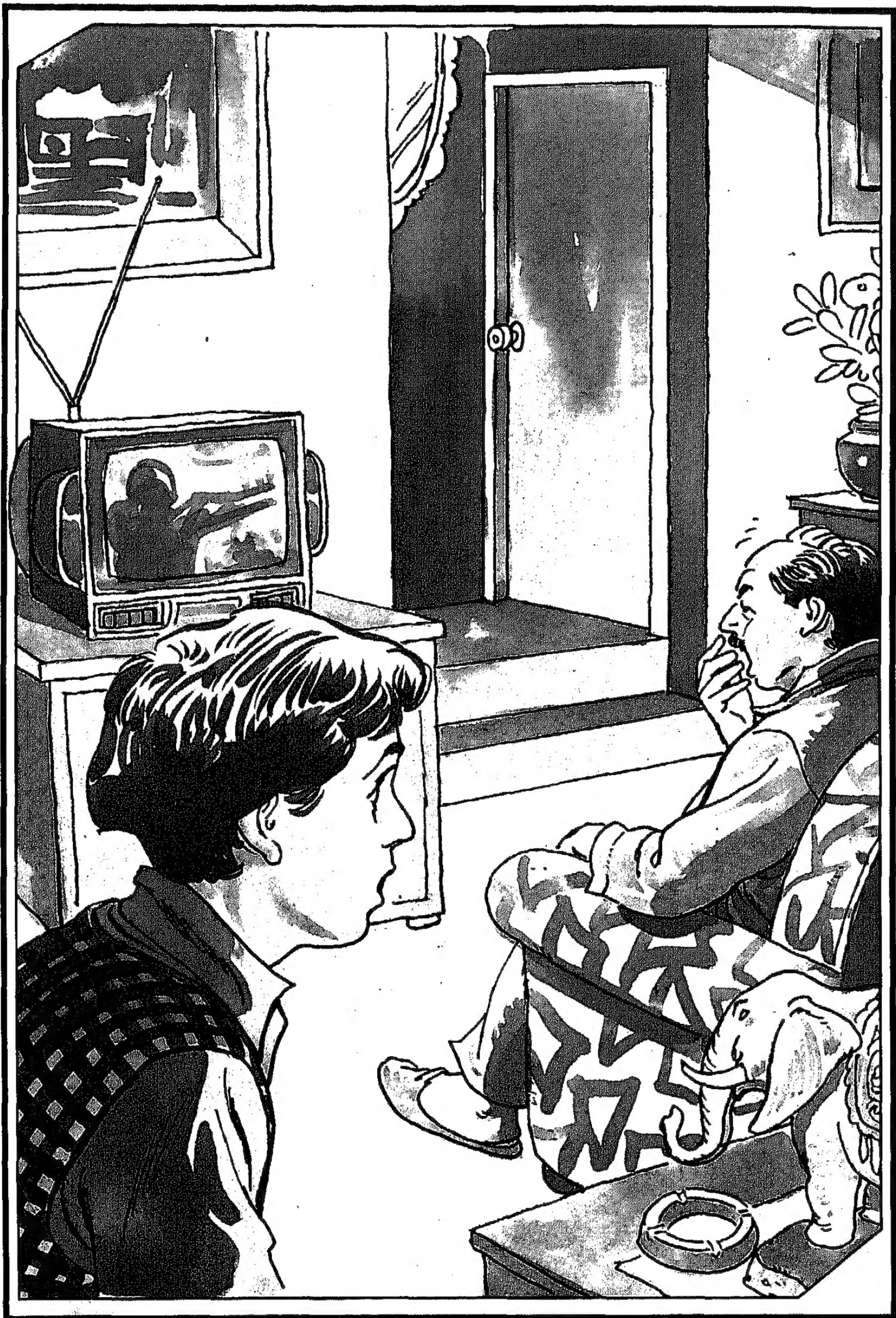
وضحك الأولاد ، واقتنع أغلبهم برأيه ، حباً في المغامرة ،
وركوب السيارة الجديدة وفسحة الليل . وطلب منهم عدنان
انتظاره وراء الدار ، بعد العشاء حتى يخرج إليهم .

* * *

جلس عدنان بعد العشاء يتفرج على التلفزيون ، ويراقب
أباه بجانب عينه . وكان رفاقه ينتظرونه في الشارع ، ويصفرون
له من حين لآخر ، فيطل عليهم ويهدئهم ، ويعود إلى مجلسه .

كان أبوه الحاج عبد السلام العروسي رجل أعمال سميناً ،
تبدو عليه مخايل النعمة . وكان يعود من مصنعه مرهقاً ، بعد
صلاة العشاء ، فيتعشى ويجلس قبالة التلفزيون ، ويرشف
القهوة ، ويغير المحطات الفضائية حتى يغلبه النعاس ، ويبداً
في الشخير ، فتأتي أم عدنان وتقوده إلى غرفة النوم .

في تلك الليلة ، انتظر عدنان حتى نام والدّه ، ونزل إلى
المرآب ، وفتح بابه الخارجي ، وركب السيارة الشيفروليه
الجديدة ، وأشعل محركها الصامت ، وجلس يتأمل لوح
مؤشرات الجميل .



وَحِينَ هَمَّ بِالْخُرُوجِ بِهَا مِنَ الْمَرَّابِ وَقَفَ أَمَامَهُ شَبِيحٌ أَسْوَدُ
رَافِعٌ ذِرَاعَيْهِ ، فَقَفَزَ فَزَعًا ، وَدَقَّ قَلْبُهُ ، فَأَشْعَلَ النُّورَ ، فَإِذَا سَائِقُ
وَالِدِهِ يَعْتَرِضُ طَرِيقَهُ ، لِيَمْنَعَهُ مِنْ إِخْرَاجِ السَّيَّارَةِ ، فَصَاحَ
عَدْنَانُ فِيهِ :

- تَنَحَّ عَنْ طَرِيقِي ، وَإِلَّا صَدَمْتُكَ وَمَرَرْتُ فَوْقَكَ !

- أَرْجُوكَ ، يَا سَيِّدِي عَدْنَانُ ! إِذَا تَرَكْتُكَ تَخْرُجُ بِالسَّيَّارَةِ
فَسَيَغْضَبُ أَبُوكَ ، وَيَقْتُلَنِي !

- لَا تَخَفْ ، إِنَّهُ نَائِمٌ .

- أَرْجُوكَ ! أَنْتَ لَا رَخْصَةَ لَكَ ، وَلَمْ تَبْلُغْ بَعْدُ السَّنَّ
الْقَانُونِيَّةَ ، وَقَدْ تَوَقَّفَكَ الشَّرْطَةُ ، أَوْ تَفَلِّتُ مِنْكَ السَّيَّارَةُ ؛ فَهِيَ
قَوِيَّةٌ جَدًّا ، وَأَنْتَ غَيْرُ مَدْرَبٍ عَلَى سِيَاقَتِهَا !

- أَنَا أَسُوقُ جَيِّدًا ! وَأَنْتَ تَعْرِفُ ذَلِكَ ، فَأَنْتَ الَّذِي
عَلَّمْتَنِي .

- هَذَا سَبَبٌ آخَرُ لَغَضَبِ وَالِدِكَ مِنِّي . . .

- قلتُ لك تنحّ عن طريقي ، وإلا أخبرتهُ بأنك تسرقُ
الوقودَ من خزانِ السيارةِ بالليلِ وتبيعهُ !

- لن تستطيع إثبات ذلك !

- إذن سأخبرهُ بأنك تستعملُ السيارةَ كسيارةِ أجرٍ ، أثناء
أسفارهِ إلى الخارج ! وعندي شهودٌ رأوكَ بها في تطوان !

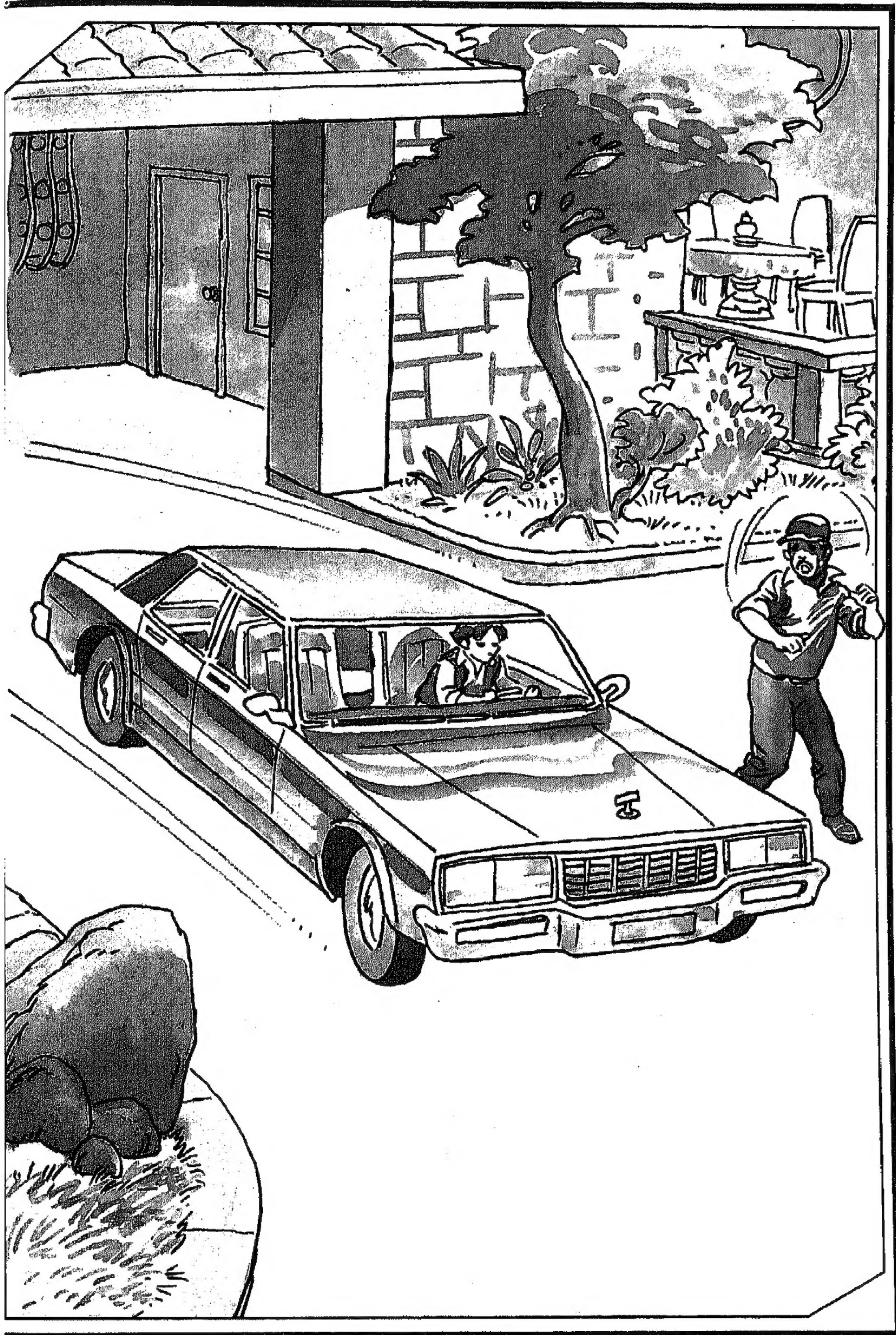
- إنك ستخربُ حياتي .

- وأنتَ تخربُ حياتي ونشاطي الآن !

كان عدنانُ قليلَ الصبرِ . وكانت جماعتهُ تنتظره خلفَ
الدارِ ، وهو يتحرّقُ ليسوقَ بهم السيارةَ ، ويفتخرَ عليهم
بمهارتهِ الجديدة .

ولما لم يتحرّكِ السائقُ ضغطَ مداسِ الوقودِ ، فقفزتِ السيارةُ
من مكانها ، وابتعدَ السائقُ ناجياً بنفسه !

ونحرجَ بالسيارةِ إلى الشارعِ ، دونَ أن يتوقفَ عند البابِ
ليتأكّدَ من خلوِّ الطريقِ من السياراتِ ، فأغمضَ السائقُ عينيه



فزعاً . . . وكانت سيارةٌ قادمةٌ من أسفلِ الشارع ، ففوجئ سائقُها بسيارةِ عدنانَ تعترضُ طريقَه ! ولحسنِ حظِّ عدنانَ أن سائقَ السيارةِ كانَ رجلاً حاضراً البديهة ، استطاعَ التحكُّمَ في سيارتِه ، وتجنَّبَ الاصطدامَ في الوقتِ المناسبِ !

ولم يتوقَّفْ عدنانُ حتَّى للاعتذارِ للرجلِ ، بل انطلقَ بالسيارةِ إلى حيثُ كانَ ينتظرُه رفاقُه . . . وجلسَ الرجلُ ، وقلبه يدقُّ ، وهو يستغفرُ اللهَ ويحمدهُ على النجاةِ ، ويستعيدُ بهِ من هذا الجيلِ المتهوِّرِ !

وخلفَ الدارِ وجدَّ الجماعةَ تنتظرُه . كانوا جميعاً يرتدونَ ملابسَ أبطالهم في السينما والتلفزيون . . . قمصاناً قصيرةَ الأكمام ، داكنةَ الألوانِ ، عليها صورُ حيواناتٍ أو أبطالِ رياضةٍ أو شعاراتٍ بالإنجليزية ، ولهم سراويلُ جين ، وفي أعناقهم سلاسلُ ، وعلى أرساغهم وسواعدهم أساورٌ من الجلدِ الأسودِ ، عليه مساميرٌ من نحاسٍ !

كان عدنانُ أكبرَ العصابةِ سنّاً ، ولكنه لم يكن أكبرهم عقلاً !

كان أهوج طائشاً، سريع الاستجابة لنزواته، قليل التفكير في عواقبها. وكان أكثر إخوته تعرضاً للحوادث، فلم تكن تراه دون جرح أو كسر أو كدمة زرقاء حول عينيه ! وكان جسمه يبدو أكبر من سنّه، فكان يمشي منحني الرأس، يرمي بقدميه إلى اليمين وإلى اليسار، ويصطدم بالناس وأعمدة النور، ويطلب العفو في كل اصطدام مع الإنسان والحيوان والجماد ! وكانت سنّه وقامته تعطيانه حقّ قيادة العصابة.

ركبت العصابة السيارة الجديدة الفارهة، وانطلق عدنان بهم كالصاروخ، وعجلائها تزعق، ويخرج من تحتها دخان، لقوة احتكاكها بالإسفلت !



وتحت شجرة كبيرة، وسط حديقة حيّ مرشان، جلس رجلٌ مُقعدٌ في كرسيّه الدارج، يحكي لجماعة من أطفال الحيّ قصة الشريط السينمائيّ التشويقيّ القديم «لص بغداد» للمرة العاشرة ! وهم مشدودون إليه بعيونهم الصغيرة اللامعة،



وكأنه يحكيها لهم لأول مرة . . . كانت طريقة حكيه وخصوبة
خياله تستوليان على الباب الصغار، وتشدها إليه !

وتوقف ليشرّب من برادة خرف مزخرفة بالقطران، فقامت
بين طفلين مشادة حول مكان قريب من الرجل، حاول
أحدهما دفع صاحبه عنه . وتدخل الرجل المقعد لفض النزاع،
ولكن المعركة اتسعت، وشملت جميع الصغار! وتحولت
الحديقة الهادئة إلى ميدان حرب، واشتبك الأطفال بالأيدي
والأذرع، ونزلت اللكمات على الذقون، والوكزات على
الرؤوس، والصفعات على الأقفية، والنطحات في البطون!
وانغرزت الأسنان في الأذرع والسيقان، والتفت السواعد على
الأعناق، وعلا الضجيج والزعيق . . !

كل هذا والرجل المقعد يصيح، ويناديهم بأسمائهم ليكفوا
عن العراك، دون جدوى .

كانت الخصومة على المكان مجرد فتيل أشعل الحريق .
والواقع أن الأطفال كانوا يخزنون طاقة جبارة؛ لوقوفهم طويلاً
دون حركة، فجاءتهم الفرصة لتصرفها .

وحينَ نفذتِ الطاقَةُ توقُّفوا ، وأرادوا استئنافَ الاستماعِ إلى
الرجلِ ، فأوَّهَ يديرُ يديهِ القويتينِ عجلتيَّ الكرسيِّ غاضبًا
ومغادرًا المكانَ .

وحاولوا إقناعَهُ بالعودةِ لإتمامِ القصَّةِ ، فصاحَ فيهم : « حينَ
كنتُ أطلبُ منكم الهدوءَ لم تلتفتُّوا إليَّ ! فاذهبوا الآنَ ، وابحثوا
عمَّنَ يتمُّ لكمُ القصَّةُ ! »

وحاولَ دفعَ العجلتينِ ، ولكنَّهُم أوقفوهُ بقوةٍ ، وأخذوا
يستعطفونهُ ، ومنهم من قَبَّلَ كتفهُ ويَدَهُ ، دونَ اكترابٍ منه !
وأخيرًا قالَ متحدِّيًا : « تريدونني أن أحكيَ لكمُ بالقوةِ ؟ إذنْ
ستنتظرونَ طويلاً ! ستنتظرونَ حتَّى ينبتَ الملحُ ويصعدَ الحمارُ
السلمَ ، وتمطرَ السماءُ أرانبَ وأبقارًا . . ! » .

وضحكَ بعضُ الصغارِ ، وأخذوا يدفعونَ به الكرسيَّ ،
ولكنْ ليسَ في اتجاهِ بيتهِ ، بلْ في الاتجاهِ المباكسِ ، وهو صامتٌ
مصرٌّ على ألا ينبسَ بكلمةٍ .

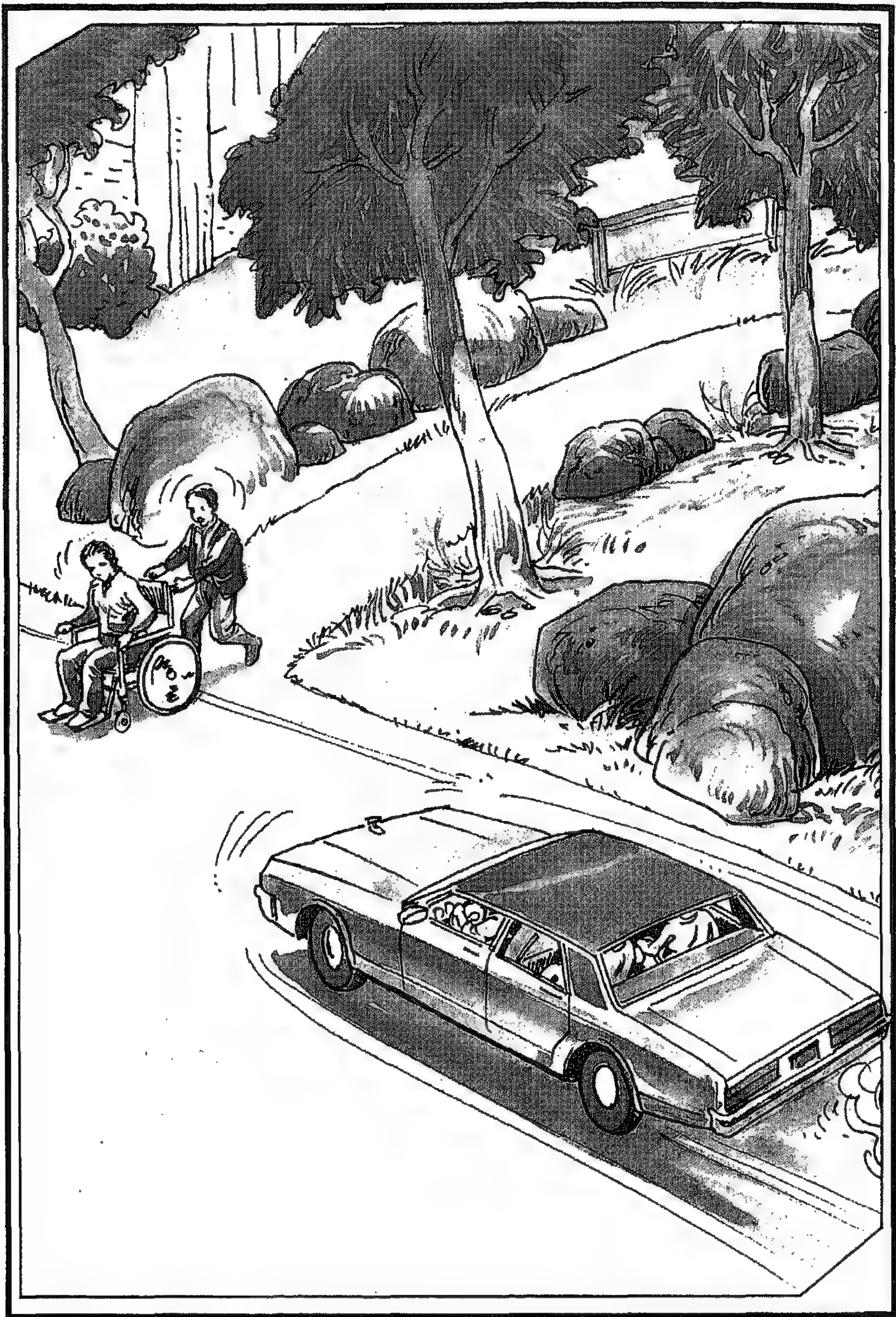
وفي النهايةِ دفعوهُ نحوَ طريقِ سياراتٍ منحدرَةٍ ، وأخذوا
يهذِّدونهَ بإطلاقِ الكرسيِّ عليها ، وهو صامتٌ غيرُ مصدقٍ

تهديدهم . . . وأخذوا يدفعونه ، ويقربون به من حفافِ
الانحدارِ، دونَ أن يبدؤ عليه خوفٌ أو انزعاجٌ . وجاء من
دفعهم من الخلفِ ، فتدحرج الكرسيُّ في المنحدرِ . . . وفزعوا ،
وجاهدوا لإيقافه ، فغلبهم ، وخرج من أيديهم ، وهم يصيحون
ويستغيثون . . .



انطلق عدنانُ بسيارة والده المسروقة صاعداً عقبة القصبِ إلى
حديقة مرشان . وبينما هو صاعدٌ بسرعة كبيرة ظهر أمامه شيءٌ
يتحركٌ ويدرجُ قادمًا نحوه ، وخلفه عددٌ من الأطفالِ يصيحون
ويلوِّحون بأيديهم . داسَ عدنانُ المكبح بقوة ، فارتقى ركابُه إلى
الأمام ، واصطدمت رؤوسُ الأوائلِ بالزجاجِ الأمامي حتَّى
كادت تكسره !

واقتربت الآلة المتحركة ، فإذا هي كرسيٌّ دارجٌ يجلسُ عليه
رجلٌ كسيحٌ خائفٌ يحاولُ إيقافه في المنحدر ، دونَ جدوى ،
حتَّى اصطدم بعنفٍ مع مقدمة السيارة ! وارتفع الرجلُ من
مقعده ، وارتقى على وجهه فوق غطاء المحرك !



وفزع عدنانُ وارتبك ، وأخذَ يفكرُ في التراجعِ وطرحِ الرجلِ
الكسيحِ ، والهروبِ بسرعةٍ من مكانِ الحادثِ ، قبلَ أن يجتمعَ
عليه الناسُ . ولكنَّ فريداً الحيَّانِيَّ الجالسَ إلى جانبه ، بادَرَ بفتحِ
البابِ ، والخروجِ لإغاثةِ الرجلِ القعيدِ . وتبعَهُ بقيَّةُ الغلمانِ ،
فسحبوا الرجلَ من قدمَيْهِ الذابِلَتَيْنِ ، وأجلسوه في كرسيِّهِ
المتحركِ بصعوبةٍ ، وهو يشكرُهُم ، ويعتذرُ عن النزولِ في
الاتجاهِ الممنوعِ ، ويسبُّ الأطفالَ الذينَ دفعوه إلى المنحدرِ .

وفعلاً وصلت جماعةُ الأطفالِ ، وأخذوا يعتذرونَ للرجلِ عما
حدثَ ، وكيفَ أنَّ الكرسيَّ غلبَهُم ، وأفلتَ منهم في المنحدرِ .
ولاحظَ أحدُ أفرادِ عصابةِ عدنانَ الدمَ يسيلُ من جبينِ
الكسيحِ ، فسارعَ إلى صندوقِ الإسعافِ الأوليِّ بالسيارةِ
وأخرجَهُ ، ونظَّفَ الجرحَ ، وألصقَ عليه ضمادةً .

ولاحظَ الرجلُ الكسيحُ أن سائقَ السيارةِ كانَ دونَ السنِّ
القانونيةِ ، فسألهُ :

- كم سنُّكَ يا ولدي ؟

- لماذا؟

- لا شيء، أردتُ فقط أن أعرفَ هل أنزلوا السنَّ القانونيَّةَ
لرخصةِ السياقةِ؟! فقالَ عدنانُ معتدًّا بنفسِه:

- السياقةُ ليستُ بالسنِّ، ولكنْ بالذكاءِ والمهارةِ!

- السيارةُ ليستُ لعبةً، يا ولدي، إنها آلةٌ ذاتُ حدين،
أحدهما نافعٌ والآخرُ قاتلٌ!

وسألهُ عن أبيه، فضاقَ عدنانُ، وقالَ:

- كُفَّ عن الأسئلةِ الفضوليَّةِ، واحكِ لنا عمَّا أصابَكَ
حتى صرتَ حبيسَ هذا الكرسيِّ يلعبُ بكِ الأطفالُ.

فقالَ الرجلُ:

- إذا أردتُم أن تعرفُوا قصَّتي فأعيدُوني إلى المكانِ الذي
دفعَني منه هؤلاءِ الشياطينُ.

فاجتمعَ عليه الأطفالُ وعصابةُ عدنانَ، وتعاونوا على دفعِه
بسرعةٍ إلى أعلى المنحدرِ، وهم يتصايحونَ، وهو يحتجُّ مخافةً أن
يفلِتَ منهم الكرسيُّ مرةً أخرى!

وتحت الشجرة الكبيرة بحديقة مرشان اجتمعوا عليه ،
وانتظر هو حتى عاد عدنان بالسيارة ، وأوقفها ، وانضمَّ
إليهم . قال الرجل الكسيح :

«قصتي حزينة للغاية ، فقد كنتُ في مثل سنكم حين حدث
لي ما ترون . . . كنتُ فتى قوياً الجسم ، أحبُّ جميع أنواع
الرياضة ، وألعبُ كرة القدم مع الكبار ، وكذلك كرة السلة .
وكنتُ بطلاً فيها معاً ، تمتلئ الملاعب حين ألعبُ ، ويهتفُ
باسمي الآلاف ، فيمدحونني حين أجيءُ ، ويصفرون عليّ ،
ويشتمونني حين أسيءُ أو أضيعُ هدفاً جيداً . وكنتُ دائماً
أخرجُ من الملعب محمولاً على الأكتاف ! وكان كلُّ ذلك أحلى
من العسل . فلا أحبُّ من أن يهتمَّ بك الناسُ ، حتى ولو
انتقدوك ! أمّا أقسى شيءٍ فهو الإهمالُ وعدمُ المبالاة ، كالذي
صرتُ أعانيه بعد الحادث .

ولكنَّ ولعي الكبير كان بالسباحة ، كنتُ أتدربُ صيفاً
وشتاءً على يدِ مدربٍ فرنسيٍّ شهيرٍ في ذلك الوقت ، وكنتُ

أقطع المسبح الأولمبي في أقل من نصف الوقت الذي يقطعه
فيه السباحون الآخرون، وبمجهود أقل! وكان مدربي يتوقع لي
مستقبلاً دولياً عظيماً. وكان طموحي الكبير أن أقطع بوغاز
جبل طارق، وأصل إلى عدوة الأندلس، في وقت قياسي
جديد!

ولكن، إلى جانب كل هذه المميزات الحسنة، كان لي عيب
لم أستطع التخلص منه، وهو الطيش وعنف الطبع! كانت
يدي تسبق تفكيري، ولا أفكر في العواقب إلا بعد فوات
الأوان...».

وهنا شعر عدنان بالخرج، فنظر حوالبه، وحرك رأسه حركة
دائرية، وحك ذقنه وظهره، في محاولة لإبعاد الشبهة عن
نفسه، وكأن الرجل كان يعنيه! ولكن الرجل استمر في حديثه
قائلاً:

«وكنيت أحب السيارات حباً جنونياً... وأعرف عنها كل
شيء، وأقتني مجلاتها ونماذجها المصغرة، وأعلق صورها في غرفة

نومي ، لأنام وأصحو عليها ، وكأنّها صورُ أفرادِ عائلتي وأصدقائي .

وحيثُ بلغتُ الرابعةَ عشرةَ أخذتُ أطلبُ من والدي أن يعلمني السياقةَ ، وأستعطفهُ وهو يرفضُ وينهرُني ؛ خوفاً عليّ من طيشي وطبعي العنيفِ . وظللتُ ألحُ عليه ، وأقسمُ له أنني لا أريدُ إلا أن أتعلّمَ شيئاً مفيداً ينفعُني في حياتي . وتغلّبتُ عليه بأمّي ، فجاءني بمعلّمِ سياقةٍ محترفٍ صديقٍ للأسرةِ .

وكان معلماً جيداً ، وكنتُ تلميذاً مجتهداً ، فتعلّمتُ السياقةَ في أقصرِ مدّةٍ ، وحفظتُ قانونَ الطريقِ ، ولم يبقَ لي إلا أن أصلَ إلى السنِّ القانونيّةِ لأجتازَ الاختبارَ ، وأحصلَ على رخصةِ السياقةِ .

وذاتَ يومٍ جاء والدي بسيارةٍ أمريكيّةٍ جديدةٍ زرقاءَ كلونِ السماءِ . كانتُ أجهلُ ما رأتُ عيني ! وركبتُ فيها فانتشيتُ برائحةٍ جدّتها ، ورونقِ أثائها الداخليّ ، ولوحِ مؤشراتها الصّقيلِ . كانتُ أوتوماتيكيّةً ، سهلةَ القيادةِ ، قويّةَ المحرّكِ ، وكأنّها أسدٌ من حديدٍ !

فوقعتُ في حبِّها في الحالِ ، وطلبتُ من الوالدِ السماحَ لي
بسياقَتِها . ولكنَّها كانتَ عزيزةً عليه ، فأركبني أنا والوالدةُ
وأختي ، وأخذنا في جولةٍ بها في المدينةِ وضواحيها . كانَ
يسوقُها وكأنَّه يسيرُ على البَيضِ ! لا يتجاوزُ الستينَ كيلومتراً في
الساعةِ ، مع أنَّ سرعتها كانتَ تزيدُ على مائتي كيلومترٍ .
وبعدَ الجولةِ أقفلَ عليها بابَ المرآبِ ، واستمرَّ في استعمالِ
سيارتنا القديمةِ .

وكنمتُ شوقي إلى سياقَتِها ، حتَّى جاءَ يومٌ تُوفِّي فيه أحدُ
الأقرباءِ المسنينَ بمدينةِ الشاوينَ ، فاضطُرَّ الوالدُ إلى الذهابِ
على عَجَلٍ لحضورِ الجنازةِ . وحانتَ فرصتي لسياقةِ السيارةِ
السجينةِ ، وإخراجِها لتتنفَّسَ الهواءَ الطلقَ ، ولأختالَ بها على
أقراني من الفتيانِ .

وأخرجتُها ليلاً ؛ حتَّى لا يراني أحدٌ من أصدقاءِ الوالدِ
وينخبرهُ . ومررتُ على خمسةٍ من أصدقائي ، وضغطتُ على المنبِّهِ
الموسيقيِّ تحتَ نوافذِ منازلهم ، فخرجوا واحداً بعدَ آخرٍ ، وركبوا
معي ، وهم في غايةِ السرورِ .

وصعدتُ بهمُ الجبلَ إلى قمَّتِهِ ، تاركينَ خلفنا موجةً منَ
الموسيقى العاليةِ منَ الراديوِ الستيريو الصافي . وأخرجَ الأولادُ
رؤوسَهُم وأذرعَهُم من النوافذِ المفتوحة . وزادتُ ثقتي بنفسي ،
وبمهارتي في قيادةِ السيارةِ الجديدةِ ، رغم أنني لم أكن قد
تدربتُ على السياقةِ بقدمينِ ، اليمنى لمداسِ الوقودِ ، واليسرى
للمكبح .

وتوقفنا عندَ منارِ رأسِ سبارتيل نتفرجُ على البواخرِ العظيمةِ
الداخلَةِ إلى البحرِ الأبيضِ المتوسطِ عبرِ البوغازِ والخارجَةِ منه
إلى عُرضِ المحيطِ ؛ وعلى الفنارِ الشامخِ ، وهو يدورُ ويرسلُ
نورهُ الساطعَ مسافةً بعيدةً داخلَ المحيطِ الأطلسيِّ لإنذارِ
السفنِ بعدمِ الاقترابِ من الشاطئِ الصخريِّ . كانَ المنظرُ
جميلاً ، وهواءُ البحرِ ناعماً ، وأصواتُ تكسُّرِ الأمواجِ على
الصخورِ البعيدةِ تحتنا تخذُّرُ أحاسيسنا .

* * *

وفي طريقِ عودتِنَا ، استولتْ على الأولادِ رُوحُ المزاحِ
والشقاوةِ ، فأخذُوا يحرضونني على الإسراعِ في الطريقِ الملتويةِ
الضيقةِ ، كما شاهدُوا ذلكَ في مطارداتِ العصاباتِ في
الأفلامِ . . . ورغمَ طيشي فقدَ كانَ وجهُ والدي دائماً ماثلاً
أمامي ، وأنا أدعو اللهَ في سرِّي أن يُحسِنَ عاقبةَ تهوُّري .

وبينما أنا نازلُ المنحدرَ بسرعةٍ معقولةٍ أغمضُ الولدُ الذي
كانَ ورائي عينيَّ بيديه ، فلم أعدُ أرى شيئاً . وفي الوقتِ نفسه
داسَ الذي إلى جانبي مداسَ السرعةِ . . . ولم أدرِ ما أفعلُ ،
وتركتُ المقودَ لأزِيلَ اليدينِ من فوقِ عينيَّ ، فخرجتِ السيارةُ
عنِ الطريقِ ، وتدحرجتُ رأسياً من فوقِ الجرفِ الشاهقِ إلى
الشاطئِ الوعرِ البعيدِ ، ونحنُ بداخلها نصرخُ ، ولا حولَ لنا
ولا قوةَ !

ولحسنِ حظِّنا سقطتُ بنا السيارةُ فوقَ شجرةٍ ضخمةٍ ،
خَفَّفتُ من عنفِ السقطَةِ . ولو كنَّا سقطنا فوقَ إحدى
الصخورِ الكبيرةِ التي تملأُ المكانَ ، لكانتِ انفجرتُ كقنبلةٍ
هائلةٍ ، ولما بقيَ منا نحنُ إلا أشلاءَ ورائحةُ شواءٍ . . . ! » .

وسكت الرجلُ القعيدُ ليستريحَ من مجهودِ الحُكي، وظَهَرَ
عليه الانفعالُ، وأخذَ يلهثُ، وكأنَّه كانَ يجتازُ محتتهُ من جديدٍ!
وكانَ الأولادُ ينصتونَ إليه باهتمامٍ شديدٍ، وقد ارتسمتَ على
وجوههم علاماتُ الفزعِ والخوفِ . . . فقالَ عدنانُ مظهرًا عدمَ
الاكتراثِ بالمُحادثِ: «وبعدَ ذلكَ، ماذا حدثَ؟» .

فقالَ الرجلُ متنهَّدًا: «بعدَ ذلكَ تدحرجتُ بنا السيارةُ من
فوقِ الشجرةِ إلى ماءِ البحرِ، ودخلتُ بينَ صخرتينِ،
واصطدمتُ بثالثةٍ، حتَّى انفتحَ غطاءُ محرِّكها . ولعنفتُ الصدمةُ
طارَ صديقي الحيَّاني الذي كانَ جالسًا إلى جانبي من مكانِهِ،
وخرجَ من الزجاجَةِ الأماميةِ صارخًا، وسقطَ فوقِ الصخرةِ
الأماميةِ فاقدَ الوعي، داميَ الوجهِ والصدرِ، وتدحرجَ من فوقِها
إلى الماءِ . ولو لم أكنُ مثبتًا على مقعدي بحزامِ الأمانِ، لوقعَ لي ما
وقعَ له ! وأحسستُ أنا حينئذٍ بألمٍ شديدٍ في ركبتيَّ وساقِيَّ، ألمٍ
فظيعٍ فوقَ الاحتمالِ البشريِّ، وأغميَ عليَّ . . !

وجعلَ اللهُ في قضائه اللطفَ، فقد كانَ البحرُ في أقصى
جزره . ولو كانَ في مدَّةٍ لغرقنا في الحالِ !



ومن أطفافِ الله كذلك أنَّ حارسَ المنارِ شاهدَ الحادثِ ،
فأخبرَ الوقايةَ المدنيَّةَ والشرطةَ ورجالَ الإطفاءِ ، ونزلَ إلى مكانِ
الحادثِ ، ووقفَ يلوِّحُ بفنارٍ يدويٍّ كبيرٍ ، حتَّى يراهُ القادمونَ .
وجاءتْ فرقُ الإغاثةِ من كلِّ مكانٍ ، وتدلَّى الرجالُ بالحبالِ ،
واستعملُوا الجِاراتِ المركَّبةَ خلفَ سياراتِ الجيبِ القويَّةِ ،
وقطَّعُوا سطحَ السيارةِ بالمناشيرِ الآليَّةِ ، وأخرجونا واحداً
واحداً . . . ولم يبقَ من الخمسةِ على قيدِ الحياةِ إلا أنا وولدانِ ،
خرجَ أحدهما أعمى ، والثاني مختلَّ العقلِ من أثرِ الرعبِ
الشديدِ ! وربَّما كذلك من أثرِ ضربةٍ قويَّةٍ على رأسِهِ ! » .

فسألَ أحدُ الأطفالِ مبهوراً وخائفاً : « وماذا وقعَ للحيَّاني
الذي اخترقَ الزجاجَ وطارَ ؟ » .

فأجابَ الرجلُ : « ابتلَّعَهُ البحرُ . . . ربَّما عثرَ عليه حوتٌ
كبيرٌ ، وسحبَهُ إلى داخلِ المحيطِ ، أو جرَّهُ التيارُ التحتيُّ . . .
وقد ظهرَ هيكلٌ عظيمٌ رماه البحرُ على شاطئِ روبنسون ، بعدَ
مرورِ نحوِ أربعينَ يوماً على الحادثِ . ولم يستطعَ أحدٌ تعرُّفَهُ ،
فدفنَهُ أهلُ الغريقِ المفقودِ على أنَّه ولدُهُم . . . » .

وحرك الرجل رأسه متأثراً بتذكر أحداث قصته، واغرورقت
عيناه بالدموع وأضاف: «وخسرتُ أحسنَ أصدقائي، الأعمى
لم يعد يراني ولا يقبل حتى أن يسمع اسمي، ومختلُّ العقل لا
يميزني إذا لقيني في الشارع، وهو هائمٌ على وجهه... أما أنا
فقد كنتُ أحسنهم حظاً، خرجتُ من المغامرة الطائشة المتهورة
بلا ساقين فقط، وأصبحتُ... لعبة للصغار...».

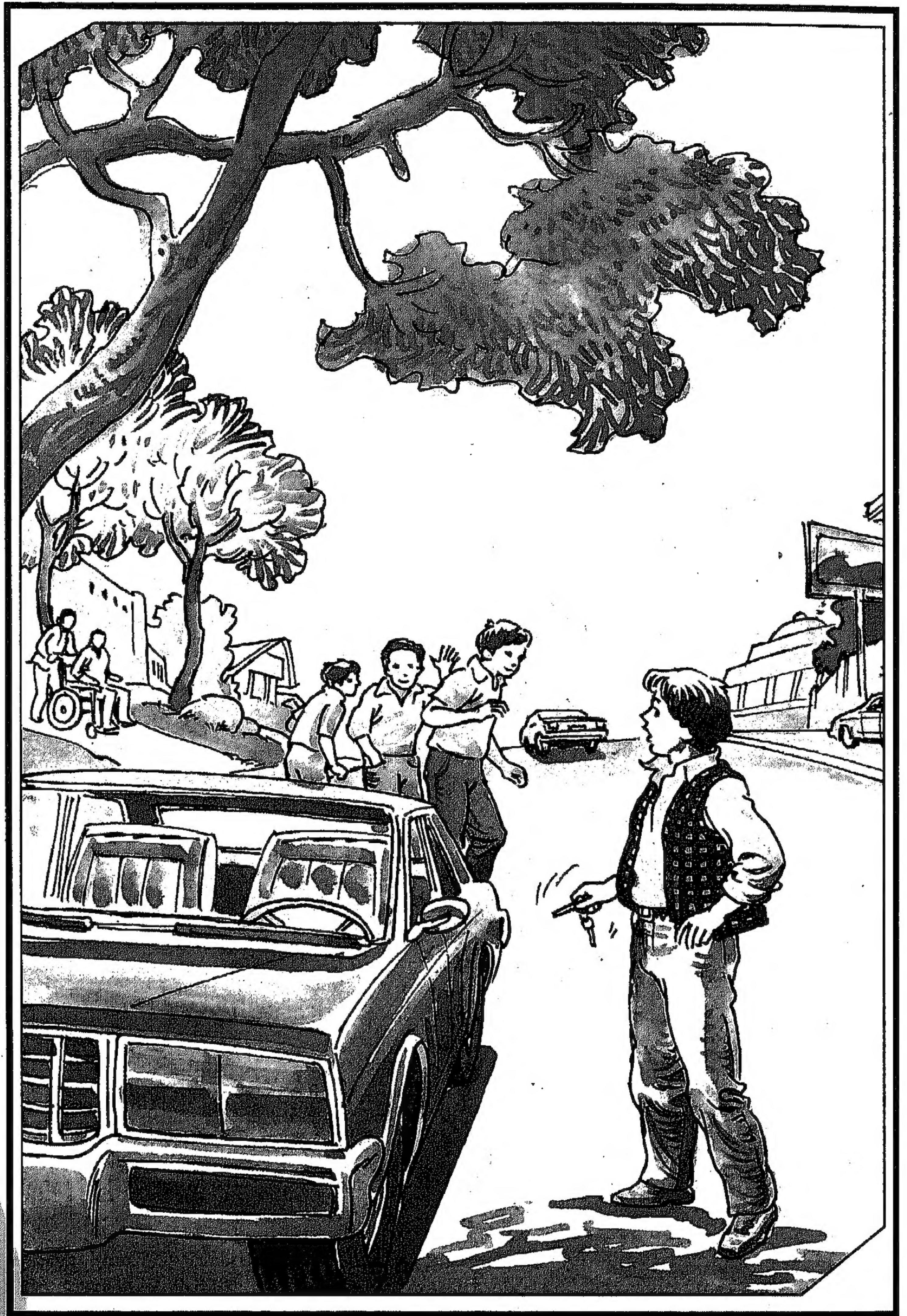
ومسح عينيه بمنديل أحمر كبير، وأضاف: «وما زلتُ حتى
الآن أحلمُ بوجه الحياني المسكين! أراه دائماً في المشهد نفسه،
أنا قاعدٌ في سيارة غارقة تحت الماء، وهو يسبح خارجها،
ويلصق وجهه بزجاج السيارة، ويصرخُ صراخاً صامتاً، وكأنه
يستغيثُ، والفقاقيعُ تخرجُ من فيه، وكأنه سمكة في حوض
من زجاج... ويتقطع قلبي، ولا أدري كيف أفتحُ له ليدخل
عندي!».

وكانت بين الأولاد طفلة في نحو السابعة، فأصابها رعبٌ
شديدٌ، وأخذت تصيحُ باكيةً، وتقولُ لأخيها: «أريدُ أمي!
أريدُ أمي!».

والتفت الصغارُ بعضهم على بعضٍ ، وازدحموا حولَ الرجلِ
حتى ضيقُوا الدائرةَ عليه ، فوضعَ ذراعَيْهِ حولَهُم ، وأخذَ يهدى
من رُوعِهِم ، ويقولُ : « هذا حدثٌ منذُ زمنٍ بعيدٍ ! بل قبلَ أن
تولدُوا جميعًا . . . لنُأحكي لَكُم قصتي بعدَ اليومِ ! كنتُ
أظنُّكُم كبارًا وشجعانًا . . . لكنَّكُم ما زلُّتم رُضَّعًا تنامونَ في
المهودِ ! » .

وطلبَ من كبارِ جماعتهِ الأولى أن يدفعُوا بهِ الكرسيَّ إلى
منزلهِ ، فذهبُوا بهِ ، وتركُوا عدنانَ وجماعتهِ ، وقد خدَّرتَهُم قصةُ
الرجلِ الكسيعِ .

وبحثَ كُلُّ واحدٍ منهم عن عذرٍ حتى لا يركبَ مع عدنانَ
في سيارتهِ المسروقةِ من أبيهِ ، وتفرَّقُوا ، كُلُّ واحدٍ في اتجاهِ
منزلهِ ، وعدنانُ يحاولُ إقناعَهُم بالركوبِ معه ، ويقولُ : « يا
لَكُم من أطفالٍ صغارٍ ! هل صدَّقْتُم أكاذيبَ ذلكَ الأعرجِ ؟ !
أقسمُ لَكُم أنَّ شيئًا من ذلكَ لم يقعْ ! وأنَّهُ اخترعَ تلكَ القصةَ
ليخيفَنَا وينغصَّ علينا نُزهتَنَا ، ويفتخرَ علينا كذبًا وبهتانًا !



وأقسم لكم أنّ الرجل وُلِدَ كسيحًا، ولكنّه لا يرضى أن يعترف
بذلك . . . ألم تنظروا إلى ساقيه؟ إنها ساقا طفل صغير لم يبلغ
السابعة ! أنا لم أرد أن أفصحهُ أمام الصغار، حتّى لا ينفضوا
من حوله، ويبقى وحيدًا لا يجد من يدفع به الكرسي . . . » .

ولكنّ كلامه كان يسقط على آذان صماء . وانصرف الجميع،
وبقي وحده، فذهب إلى السيارة كسير الخاطر، لا يصدّق
كلمة مما قاله لرفاقه !

وحيث أراد أن يفتح باب السيارة، ارتعشت يده ارتعاشًا
شديدًا، فأعاد المفتاح إلى جيبه، ونزل المنحدر إلى بيته، وأيقظ
السائق، وطلب منه إرجاع السيارة من ساحة مرشان إلى البيت .
ودخل غرفة نومه، تسبقه أشباح قصة الرجل الكسيح . . .
ولم يحدث نفسه، بعد ذلك، بسرقة سيارة والده . . .

هذه السلسلة

تضم هذه السلسلة مجموعة
مختارة من القصص والروايات
التربوية التشويقية المختارة
للكاتب المغربي المعروف أحمد
عبد السلام البقالي، الحاصل علي
جائزة «المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم».



وهي موجهة للشباب بأسلوب الأستاذ البقالي السلس،
وخياله الخصب، وخطوته السريعة التي تنقل القارئ من
مفاجأة إلى أخرى، ومن عالم إلى آخر، يقرب للقارئ
أحداث الماضي البعيد، ويلقي الأضواء
المستقبل، بالبراعة نفسها التي يتناول بها الحاضر
فالبقالي من أبرع كتاب القصة البوليسية
الحديثة للشباب في العالم العربي.

Bibliotheca Alexandrina



0297912

مكتبة